السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

....

لِمــاذا أحب أبا ذر الغفـــاري و أبا مُصْــعب الزرقـــاوي و أكره أبا دجانة الخراســـاني !

بســـْم الله الرحـــمن الرحــــيم

نص القرار:
(قررت المحكمة الشرعية في وجداني ، الحكم على المتهم أبي دجانة الخراساني بالجلد ورجماً في ساحة المنتدى ، و ليشهد عذابه طائفة من المؤمنين ، جزاءً على قعوده عن الجهاد في سبيل الله ، مخالفا بذلك قوله تعالى " : انفروا خفافا و ثقالا و جاهدوا بأموالكم و أنفسكم في سبيل الله " بالرغم من ادعائه حب الجهاد في سبيل الله,
رفعت الجلسة...)

......
..
.

)تنفيذ القرار(..

"متمرد " ، " خـارج عن القانون " ، " إرهابي " ، " مطارد " ، " معتقل " ، " من الفئة الضالـة " أو حَتى "رهن الإقامة الجبرية , "
هذه الأوسِمة تشغل بالي أكثر من شيئ آخر ,
و لكي يفهمني أبناء جلدتي ، لا أريد أن انتسب إلى واقعهم بأي طريقة ,
أريد أن أثبت لنفسي أن النسب بيني و بين مجتمع " المُسْتَنسَخين" بـَاطلة,
سَواءً سموني إرهابياً أو تخريبيا أو حتى طفرةً!

حين يستوقفني رجال الأمن في بلدي ضمن تفتيشٍ روتيني ، ينظرون إلى هويتي الشخصية ...ثم إلى وجهي ...ثم إلى هويتي مرة أخرى ...ثم يسمحون لي بالمغادرة,

أبْحثُ في أعينهم عن تهمة لي ... و لكني لا أجد,

يُحرر لي الرقيب شهادة حسن "عُبودية " ثم يَأمرني بالإنصراف,
فأنا مــن وجهة نظره لست إلا حجرة مصطفة في أهرامات المذلة و لا يجب المساس بــِها!
صَدقوني إنها لحظة ذل و مهانة تمر علي كدُهــور ,
أغادر وأنا أشعر بانكسار لا يشعر به أي معتقل يرسل إلى الزنزانة و هو يهتف ملأ فيه:

"الله مَولانا و لا مَــولا لكم"

فهو على الأقل ، يبوح بما نفسه و ما يؤمن به ، أما أنا فأدفن معتقداتي و قناعاتي و أفكاري و حتى شخصيتي في أعماق جسد " جَـوّال , "
لا أجرؤ أن أصرخ في وجوه أعداء الله لأقول ما يقوله الشيخ أبو محمد المقدسي في وجه سَـــجانيه ,
في بلـدي ، أشعر أن حُريتي الشخصية تنتهك في كل يوم ...بل في كل ساعة ، و المؤلم أن من حولي لا يشعرون بما أشعر به من لوعة و أسى و ذل ، فيتولد لدي شعور مقيت بالغربة و الوحدة و الانعــزال عن سلالة النعجة " دولي .. "

وضعوا صور هؤلاء الحُكام على الصفحات الأولى من الجرائد ، على نشرات الأخبار , على النقود ، وزعوا أسماؤهم و أسماء أبنائهم و بناتهم على الجامعات و الشوارع و الأحياء و حتى المساجد ,
يا له من اعتداء صارخ على حُريتي ، فالمرؤ لا يعلم هل هو في بلده أم في مزرعة خاصة تعود لمن سموه تملـقاً " وَلي أمر.. "

تبـاً لمجتمعي و قد قبل أن تصبح كُل آيات الحدود و أحاديثها مجرد قصصا تروى من التاريخ الإسلامي ، ليس لها على أرض الواقع من أثـــر ,
تبا لمجتمع مستسلم قـَبِل أن يسمي فتات موائد حكامه " هباتاً سامية , "
تبا لمجتمعي و تبا لي و قد بدا حالي كحالهم:

و أكره من بضاعته المعاصي و إن كنا سويا في الباضعة

إنني أشعر أن ذاتي قد تحـولت إلى أنقاض بعد أن قصفتها بقنابل الصمت المحرمة وجدانياً,
صمت .. مازلت أطمر في داخله " كياني" حتى أصبحت قبراً متنقلا ,
صمت .. يرفض الظهور إلى العيان إلا على شكل إحباط و فتور و توتر ، و ربما مَرض سُكَّـر...
لا أدري ، هل أصبح أبو دجانة الخراساني ينتظر الموت غرقا في بحر الصمت ، و هل لـهذا السبب يسـْتَمر في تعاطي أفـْيون الإنترنت ليموت بسلام و دون ألم ؟
أنا ، لست إلا بقدر ما تعرفون عني ,

إطفئ جهازك للَحـظــة... و ســأختفي!

لا... لَسـْت حقيقةً ، فما أنا إلا كيلوبايتات معدودة ..أصبحت أقيــس بها عمري,
لست إلا سرابا يتيه بين الأسلاك باحثا عن كـَيـــان ، بعد أن حـَرمه الطواغيت حـَق الوجــُود..

بكبسة رز واحدة ، يستطيع السيد غوغل أن يقبض على كل قصاصـــاتــي,

أو لعلي وحشاً إغريقيا ترسمه كل حضارة بطريقة مختلفة أكثر رعــبا ,
فهناك أبو دجانة الخراساني مختلف في عقـــل كل واحد منكم ,
بينما هناك أسامة واحد ، و زرقاوي واحد و ظواهري واحد في أعين جميع النـاس و إن اختلفوا فيهم,
ليس العيب في استخفـــائي ، و لكن العيب أن ليس لي وجه آخر أعبر فيه عن نفسي بحــريَّة ... غير هذه المنتديات ,

كنت أكتب في منتدى الحِـسبة ، ثم أغـْلق...

حينها شعرت أنهم أعدموا كياني من دون محـَــاكمة ,
لقد أثبتوا لي مرة أخرى أنني وهم أعيش طريدا في حواري الأسلاك الإلكترونية ,

كم كنت أتمنى أن أكـــون حقيقة ، أواجه أعدائي بكل شجاعة ، ثم أموت شهيدا في سبيل عقيـــدتي,
كم كنت أتمنى أن أثبت للعـَالم أن روحـي ستبقى حـُرة مهما فعلوا بجسدي ,
كنت اتمنى أن أحـرق سفني ، و أنزع لـثـامي و أكشـف كل أوراقي ، ثم أحمل على أعداء الله لا ألوي على شيئ ،
فأشق بحـر السّراب بعصى موسى ...متجهاً نحو بر الحقيقة ..
كنت أتمنى أن أكتب قصــة حياتي كـرواية جهاد في سبيل الله أنا بطلــها ، حيث يموت صاحــب القصة تحت راية "لا إله إلا الله " حتى قبل أن يرى النصر، لينال أجره تاما ً ,

لطالما تراءت لي " الكلبشَات " على أنها أساور من فضة ، و لطالما رأيت حبل المشنقة كوسام شرف ,
لطالما نظرت إلى الزنزانة كمحراب ، و لطالما أدعيت أن الأسر ليس إلا سلماً للدَّرجات العلى في الجنة,
و لكنني مازلت في فرار ...و مازلت أفضل أن تضرب الأقفال على وجداني ..لا على جسدي...
فلقد انطلت علي كذبة مُجتمعي حينما ادعو أن الشيخ ناصر الفهد أسير و أبو دجانة الخراساني حـُر ...

لا أدري إلى متى سأبقى فارا من وجه الحرية ...كمتشرد يتسـكع بين أرصفة الكيبورد الباردة ,

هناك قيم عليا ، تشرئب لها أعناق " طلاب الحرية " و لكن ...لا ينجح إلا بعضهم في الوصول إليها...
فشتان بين رجل كأبي ذر الغفاري و آخر كأبي دجانة الخُراساني ، و إن تشابها في وجهات النظر ، فالواقع يكشف لنا مَن منا الصادق ومن منا الدعيّ,
لذلك أحبُّ الأول و أكره الثاني و إن كان هو أنــا...
ما أحدثكم عنه ليس وسواساً قهرياً أعاني منه ، بل هو نحيب على حق هان بهوان همة أهله,

رَضِيِ الله عنك يا سيدي أبي ذر ,

فلقد كان ذلك الرجل حراً بكل ما تعنيه هذه الكلمة من معنى ، و تقتضيه من معاناة ,
كان يكره عبادة الأصنام بالفطرة ، و لما سمع برسول الله صلى الله عليه و سلم جاء إليه و أسلم ، فكان من أوائل من دخلوا هذا الدين العظيم ,

قال له رَسول الله صلى الله عليه وسَلَّم:
)يا أبــا ذر أكتم هذا الأمر ، وأرجع إلى قومك ، وإذا بلغك ظهورنا فأقبل(

لكن كيف لرجل حرٍّ مثل أبي ذر أن يكتم في داخله أمرا يعتقد أنه حق ؟ لم يعتد أبو ذر على السكوت و إن كان هو الأسلم ,
صرخ أبو ذر في وجه قريش:
)يا معشر قريش أشهد أن لا اله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله(

لقد قال ما يؤمن به غير آبه بما سيلقاه من مشقات جسدية:

إذا كانت النفوس عظـاماً تعبت في مرادها الأجسام

هجم عليه كفار قريش ، و أوسعوه ضربا حتى خلصه من أيديهم العباس عم رسول الله , مذكرا إياهم بأنه من قبيلة

غفـــار قاطعة الطريق ، و أن الرجل لو مات بين أيديهم فإن تِجارة قريش ستبـــور...

تلك الأنفس العظيمة ، ترفض الاستسلام أما العوائق المادية التي تعيق تقدمها نحو ما ترنو إليه ,

ففي غزوة العُسرة ,أبطأ بعير أبي ذر به فتأخر عن الجـيش ، فما كان منه إلا أن نزل من فوق ظهره ، وأخذ متاعه وحمله على ظهره ومـضى ماشيا على قدميه مهـرولاً وسط صحراء ملتهبة حتى يدرك جيش المسلمين بقيادة سيد الخلق صلى الله عليه وسلم ، فتوقف الرسول والصحابة وقفة أستراحة حتى رؤوا رجلاً يمشي على الطريق وحده فقال الرسول صلى الله عليه و سلم :

)كُـن أبا ذر (

فلما أقبل كان هو أبو ذر.

فقال الرَّسول عليه الصلاة و السَّلام:

)يَرحَم الله أبا ذر ، يَمشي وحده ويمُوت وحْده ويبعث وحده(

يا له من صدق و إخلاص لا يشوبهما دَخن ,

فهيهات لرجل مثل أبي ذر أن يتخلف عن غزوة من المغازي ليبقى مع الخوالف من المنافقين و النساء و أصحاب الأعـْذار...

إن خانه بعيره فأقدامه تفي ، و إن خانته أقدامه ، لحق برسول الله صلى الله عليه و سلم حَبْواً ..لأنه حر ، و لا يفعل أي شيئ إلا من خلال قناعة راسِخة,

في يـَوم من الأيام ..سأله رسول الله صلى الله عليه و سلم هذا السُّؤال:

)يا أبا ذر كيف أنت إذا أدركك أمراء يستأثرون بالفيء ؟(

أمراء ... يستأثرون بالفيئ ؟ كيف يقبل حرٌ بهذا ؟

كيف يقبل أبو ذر لابن إمرأة أن يستأثر بشيئ ليس من حقه...

فأجاب أبو ذر:

)إذن والذي بعثك بالحق ، لأضربن بسيفي(

يا لها من عزة نفس اشتاقت لها أمتنا ,

يريد أبو ذر قتال الأمراء المسلمين الذين يستأثرون بالفيئ ،بينما يرفض علماء البلاط و الفضائيات مناصحة من يعتبرونـه " وليَّ الأمر" سرا أو علنا بعد أن استعبد المسلمين و جلد ظهورهم و والى أعداءهم ,

بـل ليتهم يسكتون...

فسلمان العودة يخرج علينا في قناة الفجور ، ليبرأ أمام الله من أسد الإسلام أســامة,

شتان بين جيل أنجب مثل أبي ذر و جيل أنجب مثل سـلمان العودة....

أراد رسول الله صلى الله عليه و سلم أن يخبر أبا ذر أن الناس ليسوا على قلب رجل واحد ، و أن سقف العدالة و الحرية الذي تتوق إليه نفس أبي ذر يصعب على عامة الناس الوصول إليه ..فقال له:

)أفلا أدلك على خير من ذلك ، اصبر حتى تلقاني(...

و عندما ازدهرت الخلافة الإسلامية و ترامت أطرافها ، و رأى أبو ذر بعض الأمراء يستأثرون بالفيئ كما أخبره رسول الله صلى الله عليه و سلم ، كان يطوف عليهم مرددا:

"بَشّر الكانزين الذين يكنزون الذهب والفضة بمكاو من نار تكوى بها جباههم وجنوبهم يوم القيـــامة"

اصطدم الرجل الحر بأول مخالفة رآها بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه و سلم و ما كان لمثله أن يسكت ، و لكنه تذكر وصية حبيبه المصطفى ، فلزمها...

لقد خالف رسول الله حين أمره بكتمان أمر إسلامه ، و لكن لن يخالفه أبداً بعد وفاته ,

كيف لا و قد روي عنه أنه قـــَال:

"والذي نفسي بيده ، لو وضعتم السيف فوق عنقي ، ثم ظننت أني منفذ كلمة سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن تحتزوا لأنفذتها"

فخرج مُعتزلا الناس في زمن عثمان رضي الله عنه ,

لم يكن سبب هذا الخلاف بين أبي ذر و المجتمع المسلم آنذاك هو تغير طرأ على أبي ذر ، بل كان السبب هو ابتعاد الناس – النسبي- عن الالتزام بأوامر الله و نواهيه ، و تسرب الظلم و المحسوبية بين الأمراء ، و هذا ما لا يقبله الحر أبو ذر ، فهو يصر على أن يحيى و يموت على ما فارق عليه رسول الله صلى الله عليه و سلم....

لقد صدق رسول الله صلى الله عليه و سلم حين قال فيه:

)ما أظلت الخضراء و لا أقلت الغبراء رجلا أصدق لهجة من أبي ذر(!

ماذا لو كتب الله لأبي ذر الغفاري رضي الله عنه أن يرى ما يراه الناس في أيامنا هذه ؟ لا شك أننا كنا سنجده في كوبا أو الحائر أو أبي غريب ، أو ربما على أحد الثغور متوشحا سيفه يقارع أعداء الله ، أو ربما في مقبرة الشهداء قرب الفلوجة , أو ربما في المناطق القبلية بين باكستان و أفغانستان..

لا.. و الذي نفسي بيده ، ما كنا سنجده في قناة ال MBCيتبرأ من أسامة,

هذا هو أبو ذر الغفاري يا أمــة الإسلام ، عاش كما أحب أن يعيش ، و كان كما تمنى أن يكون ,

لهذا أحبه ، و أكره نفسي....

هناك رجل آخر من الأحـْرار ، عاش كما أحبّ أن يعيش ، اسمه أبو مصعب الزرقاوي,

أول عمل قام به بعد وصوله إلى سجن سواقة هو التلاسن مع الحراس ، فأودعوه في زنزانة انفرادية ,

يا ويح زنزانة حوت بين جنباتها رجل كأبي مصعب و قد طوى الأرض جهادا و نضالا..

كنت أقرأ في كتاب الصحفي فؤاد حسين عن أيام الزرقاوي في السجن ، و كان مما استوقفني طويلا هذه الفقرة:

"كان الزرقاوي داخل السجن يتعامل بشخصيتين ، الأولى تلك التي يتعامل بها مع جماعته ، كان لهم بمثابة الأب الحاني الكريم الودود اللطيف ، يحرم نفسه من النقود القليلة التي هو بأمس الحاجة إليها ، ويعطيها لأي من رفاقه يشعر أنه بحاجة إليها أكثر منه ، يخلع ثيابه ويهديها لأي من رفاقه ، إذا ما أحس أن أحدهم أبدى إعجابه بها ،

الشخصية الأخرى للزرقاوي ، تلك التي يتعامل بها مع الجهات الرسمية داخل السجن ، فهو جدي في غاية الجلافة ، مهيب الجانب ، يحصر التعامل معهم في أضيق الحدود الرسمية ، لا يسمح لإدارة السجن أن تتعامل مع أحد من مجموعته إلا من خلاله . مع أنه كان يميل إلى الانطواء والعزلة لدرجة أنه كان يلقب بالغريب ، كان يحب هذا اللقب ويحب أن يناديه الآخرون به ، ويوقع به رسائله وبطاقاته لذويه"

يا الله..

الانطواء و العزلة ، أليستا هن رفيقتا سيدنا أبي ذر ، ذلك الغريب الآخر ، حتى قال عنه رسول الله صلى الله عليه و,

سلم:

يرحم الله أبا ذر ، يمشي وحده و يموت و حده و يبعث وحده..

يا لها من أنفس زكية ، نقية ترفض دروننا ، و تتسامى على مستوانا " الجسدي" حتى و كأنها أجراما سماوية لم تصطدم أبداً بأرض,

لقد قالوا أنه لم يكن يبتسم في وجه سجانه...

مُجرد "ابتسامة , " يعتبرها أبو مصعب الزرقاوي تنـــازلاً غير مبرر للسدنة الطواغيت , كلامي هذا لا يفهمه إلا من تجرع طعم السجون ، و عرف بطش السجانين المُجرمين,

بينما نرى الكثير من أتباع المنهج الإخواني الانبطاحي ، لا يتركون مجاملة لم يطروا بها على كل طاغية مجرم...

و لهذا ، يعيش الكثير من قادة الإخوان المسلمين سالمين .. آمنين إلى الثمانين و التسعين من أعمارهم بينا أعمار أمة محمد بين الستين و السبعين ,في نفس الوقت الذي يرحل فيه أبو مصعب الزرقاوي بعد أن بلغ أشده أربعين سنة ,

فمثل هؤلاء الأبطال ، حياتهم قصيرة ، لا تلبث أن تتعلق به حتى يفجعك بنفسه,

رفض أبو مصعب الزرقاوي إلا أن يحاكم القاضي بغير ما أنزل الله ..بعد أن رفض القبول به حكما ، فهو لا يكترث بتلك القضبان التي تحاصر جسده ما دامت روحه ترفرف في ملكوت ربها ، حرة طليقة ,

فقام مخاطبا القاضي:

"أيها القاضي بغير ما أنزل الله:

انظروا إلى مشرعيكم أمثال محمد فاضل والسنهوري ، أين هم الآن ؟ انهم تحت أطباق الثرى .. يا لله ويا للعجب ! مشرعيكم يموتون ، ولكن الله ربنا ومشرعنا وحاكمنا حي لا يموت"

لقد رأيت في حياتي الكثير من المرافعات القضائية في مختلف بلدان العالم,

رَأيت متهمين يرفضون التهم و يتمسكون ببراءتهم,

رأيت متهمين يتفاخرون بتهمهم مدعين أنها بطولة ,

رَأيت متهمين يصرخون بأنهم ليسوا نادمين و لو سنحت لهم الفرصة ، فسيفعلون ما فعلوا مـِائة مرة ,

و لكني لم أر قط شخصاً في قفص الإتهام يحاكم القاضي خلف المنصة,

أبو مصعب الزرقاوي فعل ذلك ,

و الله لم تخطر هذه على عقل كاتبي سناريوهات هوليود منذ أن تأسست ,

متهم يحاكم القاضي ، ثم يدينه ,

إنها عزة إسلام لم تحدث إلا في عصـر الصحــابة الكرام ,

لقد رفض أبو مصعب حياة الذل و الخداع و المهادنة ، و جهر بما يؤمن به دون أن يخشى في الله لومة لائم ,

لقد عاش كما تنمى ، و كما أتمنى أنا أن أعيش ,

حراً ، أبياً ، شجاعا ، لا يخاف من دون الله إنسيا و لا جان,

بينما لا استطيع العيش إلا مثل بقية مجتمعي ، لا اختلف عن جلهم إلا بالكراهة القلبية لكل ذل و كفر أراه حولي .... و هذا من أضعف الإيمان,

مـــازلت يا إخوة ، أدعو الله أن يفرج كربي و يمنحني الشجاعة لأعيش كما أتمنى,

فعندها فقط سأحب أبا أدجانة الخراساني...

مـُلاحظة : نسخة لكل كاتب في المنتديات ، مضى عليه أكثر من سنة و نفسه تحدثه بالنفير حتى ملت الحديث...

من زنزانة القاعدين ,
سجن الخوالف من غير عذر في منطقة التسويف,
الحادي عشر من رمضان لعام ١٤٢٨ للهجرة ، الموافق للثالث و العشرين من أيلول لعام ٢٠٠٧ للميلاد ,
أخوكم المُقعد الأسير:

"أبو دجانة الخراساني"